تعالى ان لا تعبدوا اي انت وجميع العباد عونك ويعم جميع الناس الا اياه
وفيه وجوب عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره لان العبادة عبارة
عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا لمن
له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله تعالى فكان هو المستحق
للعبادة لا غيره تنبيه روي ميمون بن مهران عن ابن عباس انه قال
في هذه الاية كان الاصل ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين
بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله
احد قط لان خلاف قضاء الله ممتنع وهذا القول كما قاله الرازي
بعيد جدا اذ لو فتح هذا الباب لارتفع الامان عن القران وذلك
يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين وينذفع ما
قاله بما فسر يقضي له ولما امر تعالى بعبادة نفسه اتبعه بالامر ببر
الوالدين بقوله تعالى وبالوالدين اي واحسنوا اي اوقعوا الاحسان
بهما احسانا اي بان تبروهما ليكون الله معكم فانه مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون تنبيهات احدها المناسبة بين الامر بعبادة الله
تعالى والامر ببر الوالدين من وجوه الاول ان السبب الحقيقي لوجود
الانسان هو تخليق الله تعالى وايجاده والسبب الظاهر هو الابوان
فامر الله تعالى بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب
الظاهر الثاني ان الموجود اما قديم واما محدث ويجب ان يكون
معاملة الانسان مع الموجود القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث
باظهار الشفقة وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله واحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة انعامهما
على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اشارة الى
التعظيم لامر الله وقوله تعالى وبالوالدين احسانا الى الشفقة على خلق
الله

الله الثالث ان الاشتغال بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق
سبحانه وتعالى وقد يكون بعض المخلوقين منعما عليك وشكره ايضا واجب
لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد
من الخلائق نعمة على الانسان مثل ما للابوين لان الولد قطعة من
الوالدين قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وايضا شفقة
الوالدين على الولد عظيمة وايصال الخير الى الولد منهما امر طبيعي واحترازهما
عن ايصال الضرر اليه امر طبيعي ايضا فوجب ان يكون نعم الوالدين على
الولد كثيرة بل هي اكثر من كل نعمة تصل من الانسان الى الانسان وايضا
حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام الابوين
في ذلك الوقت واصلا الى الولد واذا وقع الانعام على هذا الوجه كان
موقعه عظيما وايضا فايصال الخير الى الغير قد يكون لداعية ايصال الخير
اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فكان الانعام فيه اتم واكمل
فثبت بهذه الوجوه انه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل ما
للوالدين على الولد فلهذا بدأ الله بشكر نعمة الخالق وهو قوله تعالى
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ثم اردفه بشكر نعمة الوالدين وهو
قوله تعالى وبالوالدين احسانا فان قيل الوالدان انما طلبا تحصيل
اللذة لانفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الافات
والمخافات فاي انعام للوالدين على الولد حتى ان المتسمي
بالحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد
وعرضني للموت والفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا
نكتب على قبرك فقال اكتبوا على قبري هذا جناية ابي علي وما
جنيت على احد وقال في ترك التزوج والولد وتركه فيهم نعمة العدم
التي فيهم لقد سبقت نعيم العاجل ولو انهم ولدوا لعانوا شدة تزدي بهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)